جامعة حلوان
كلية التربية الفنية
قسم النقد والتذوق الفني

الإدراك الاستطيقي للفنون الإسلامية

إعداد

أمل مصطفي إبراهيم

الأستاذ المساعد بكلية التربية الفنية قسم النقد والتذوق الفني

تتعدد مداخل دراسة الفنون الإسلامية ، وهذه الدراسات كلها تفيد في التعرف عليه من مختلف الجوانب ، التاريخية أو علاقته بالمجتمع أو قدرته علي توصيل رسالة إلي المتذوق أو مدي أهميته في تشكيل الرأي العام ، أو حتى أهميته في أن نتعرف علي مصدر القيمة الجمالية فيه والتي تميزه عن أي فن آخر، ورغم ذلك فليس في وسعنا أن نقدر القيمة التي تتضمنها الفنون الإسلامية بصورة متكاملة إلا إذا ادركناه بطريقة استطيقية .

فإدراك الفن يتم بين نوعين من الإدراك الجمالي أو الاستطيقي * و رغم التداخل بين المعنيين عند المتذوقين للفن - حيث يتم استخدام الواحد منها محل الآخر - إلا أن هناك اختلاف بينهما ، فكل يشير إلي معني دال علي قيمة خاصة بالعمل الفني ، فليست كل الموضوعات الجميلة أعمالا فنية ، ذلك أن الموضوعات الجميلة تضم موضوعات من الطبيعة قد تكون أيسر في تذوقها من الجمال في الفن ، وفي ذات الوقت ليس كل الموضوعات الفنية جميلة ، فقد تكون استطيقية ، أو قد تتحمل معاني آخري تؤكد المضمون الوجداني للفن بطريقة تبتعد عن المصطلحات المألوفة التي تستخدم للتعبير عن القيم الجمالية مثل معاني التضاد والغرابة والصرحية والالتزام وغيرها من معاني ترتبط بالإدراك الوجداني للفن .

والفن الإسلامي كفن له سمات خاصة فقد بني علي معايير فنية و جمالية وأخلاقية طبقت وتتشابه في جميع المجالات ، وبناء علية فان إدراكه الاستطيقي قد يتشابه لدي المتذوقين فتبقي الدلالة قريبة المعني وتحمل ذات القيمة مهما اختلف نوع الفن من العمارة أو الفنون التطبيقية أو تصوير منمنمات .....وغيرها .

ومن هنا يمكن أن نتساءل ما الفارق بين القيمة الجمالية والاستطيقية في الفنون الإسلامية ؟ وكيف يختلف الإدراك الجمالي في القيمة عن الإدراك الاستطيقي؟ وكيف أن تذوقه أو الاستمتاع به يرتبط بالقيمة الكامنة في داخل العمل

---

* كلمة " استطيقا " في الأصل تعني الحساسية aesthesis بصفة عامة والحساسية الوجدانية بصفة خاصة وقد أصبح معني هذه الكلمة في الاصطلاح السائد الآن هو الدراسة العلمية للنشاط الجمالي (فؤاد زكريا، مشكلة الفن - 296)

...سي ، وكيف يمكن للمتذوق إن يدرك الفنون الإسلاميه استطيقيا ؟ وهل يتشابه الإدراك الاستطيقي بين المتذوقين للفن الإسلامي رغم أن ذلك الإدراك يقوم علي اختلاف القيمة تبعا لخصوصية الاستقبال؟

فروض البحث

- الإدراك الاستطيقي يكشف عن القيم الجوهرية المرتبطة بمضمون الفن الإسلامي
- يتشابه الإدراك الاستطيقي بين متذوقين الفن الإسلامي

الإدراك الجمالي و الاستطيقي

قبل التعرف علي معني الإدراك الاستطيقي لابد من التمييز بين ثلاثة مصطلحات ترتبط بجوهر العمل الفني والاستمتاع به فهو فني أو جميل أو استطيقي .

ويعني الفني إنتاج موضوعات عن طريق جهد بشري ، وهو في جملته مثل "الطبيعة الإنسانية له عدة وجوه وكل نماذج الإحساس تعطي له نظمه الخاصة وتختلف هذه الإحساسات والامزجة من فرد لأخر وكلها تعبر عن ذلك النشاط المسمي بالفن " (محمد عزيز نظمي سالم – 11) ويعرف المثال الفرنسي رودان الفن بأنة " هو التأمل هو متعة العقل الذي ينفذ إلي صميم الطبيعة ..هو فرحة الذكاء البشري حين ينفذ الي أعماق الكون . الفن هو اسمي رسالة للإنسان لأنة مظهر لنشاط الفكر الذي يحاول ان يتفهم العالم وان يعيننا بدورنا علي ان نفهمه " (زكريا إبراهيم – فلسفة الفن في الفكر المعاصر – 7) إذا فالفن هو إنتاج شئ يتميز بالجمال ، وهو هنا يشير إلي مدي جاذبية الأشياء وقيمتها ، و بذلك يكون إدراك الفن في نوعين ، جماليا وهو يتم عندما يتضمن الشئ نفسه جمالا - إن الخط جميل - وقد يكون الإدراك استطيقيا عندما تتبع القيمة من نفس المتذوق ، فالاستطيقا مصطلح يستخدم للتعبير عن إدراك الموضوعات بطريقة تضيف إليه دلالات ترتبط بإحساس المتذوق له ووجدانه

وكل من الجمال والاستطيقا يرتبط بالفن الذي يكون له آثار جمالية ، ويحمل في ذات الوقت قدرة استطيقية تتجاوز الإنتاج ليصل بالاستمتاع إلي انقي نموذج من التجربة الجمالية ، لأنه يرتبط بالقيمة وهي هنا تتحدد وفق ما يستحوذ علي إعجابنا في العمل الفني ، فقد تكون القيمة تشكيلية ترتبط بما تثيره العناصر الفنية من إيحاءات لكنها في الحقيقة لا تمثل القيم الجوهرية

هيأت ظهور تأثيره ، ليكتسب العمل صفات مثالية وعندما "تثبت القيمة فلا تصبح غاية في

ذاتها فسوف تتحول إلي معيار يفرض عليها من الخارج " (محسن عطية - التحليل الجمالي للفن -15) وعلي ذلك يتحول الإدراك الجمالي إلي إدراك استطيقي ، فلن يكتفي المتذوق بالاستمتاع بالقيم التشكيلية أو الإيحاءات التعبيرية ، إنما سيضيف إليها تأمل العناصر الوجدانية والأفكار المجردة ذات المعاني النابعة من أحساسة الذاتي بالعمل الفني ، مثل انه جليل أو انه قوي أو مرن أو رشيق أو غريب أو صرحي أخاذ ومؤثر، وعلي ذلك يمكن ان نحدد الفارق بين الإدراك الجمالي والاستطيقي الجدول التالي :

الإدراك الجمالي	الإدراك الاستطيقي
1. صوري	1- ذهني
2. ظاهري	2- جوهري
3. حسي	3- عقلي
4. نسبي	4- مطلق

جدول يوضح الفارق بين الإدراك الجمالي والاستطيقي

الإدراك الاستطيقي

إن الإدراك الاستطيقي هو تشكيل لقيمة تضاف إلي الموضوع الفني بواسطة العاطفة ، وغالبا ما تكون مشحونة بالقيم التي تمثل العلاقة المعنوية بين المتذوق والعمل الفني ، وبذلك تتمثل القيمة التي يدركها المتذوق استطيقيا في الدلالات

الحسية ، والإدراك الاستطيقي يتطلب "انتباه وتأمل متعاطف منزه عن الغرض.....ويشير لفظ المتعاطف إلي الطريقة التي نعد بها أنفسنا للاستجابة إلي الموضوع .....أما كلمة انتباه فهي تعني أن نستبعد كل شئ محيط بنا .....والتأمل فهو لفظ يدل علي الاهتمام والاستغراق الكامل " (جيروم ستولنيتز - 45،46، 48،50) ، وبذلك يكون الإدراك الاستطيقي للعمل الفني مرتبطا بتذوق طابعة الفردي وتقبله علي ما هو عليه وان نستجيب له بطريقة متوافقة معه ، وان نستقبل قيمة الموضوع بطريقة أكثر حيوية والوصول إلي التصورات و المعاني وعلاقاتها المتبادلة وتأمل البناء المنطقي للعمل الفني بطريقة منزهه عن الغرض ، وبذلك فان الإدراك الاستطيقي يؤدي إلي تعميق بصيرتنا لرؤية أعمال فنية تختلف في موضوعاتها وقد تؤدي بنا إلي تحدي القيم التي كنا متمسكين بها من قبل وقد يوسع نطاق تعاطفنا مع العمل الفني ، فليس في وسعنا أن نقدر القيمة التي يمتلكها العمل الفني في ذاته إلا إذا ادر كناه استطيقيا "فعندما نتحدث عن تذوق الفن أو الاستمتاع به فان ما نعنيه هو القيمة الكامنة أو الاستطيقية في الفن . ولن يكون في وسعنا إن نفهم هذه القيمة التي هي أهم أنواع القيم في الفن إلا حين نفهم الإدراك الاستطيقي الذي يطلعنا عليها وعندما يتم لنا ذلك يصبح في إمكاننا أن نتجنب الخلط بين قيمة موضوع فني عندما نستمتع به في ذاته وبين القيمة التي قد تكون لها أغراض أخري " (حسين علي - 27)

دور المعرفة الفنية في الإدراك الاستطيقي

وعلي الرغم من أن المتذوق عند الإدراك الاستطيقي لا يهتم بالأمور الماضية أو المستقبلية ، فأنة يخوض التجربة وقد حمل معه قدر معين من المعرفة والمعتقدات و قيم معينة واستعدادات وانفعالات و طريقه خاصة في الاستجابة للموضوع تتقرر إلي حد بعيد بالتجارب الماضية التي مر بها أو ربما كان قد اكتسبها من معرفة معينة ساهمت في تكوين طريقة ادراكة ، إذ أننا نجد علوما ومعارف كثيرة مرتبطة بالعمل الفني ، منها ما يرتبط بتاريخ حياة الفنان أو تركيب المجتمع الذي أنتج فيه ظنا أن تاريخ العمل الفني وأصلة يزيد القدرة علي تصنيفه وتحليله ، أو

في إبداع آخر ، أو محاولة الوصول إلي القيمة جمالية العمل الفني بمقارنته بآخر، وغيرها من المعارف التي ترتبط بالفن ، وقد تكون تلك المعارف لها دور في الوصول إلي الحقائق ، إلا أنها لا تؤدي في كثير من الأحيان إلي تنمية الاهتمام والتذوق و الحساسية الفنية .

إن الإدراك الاستطيقي في طبيعته لا يرفض المالفني.مسبقة ولكنه يتطلب من المتذوق معرفة ذات ارتباط بالعمل الفني نفسه وهي مشروطة بالشروط الآتية :-

1. إذا لم تكن تضعف الانتباه أثناء تأمل العمل الفني .
2. إذا كانت متعلقة بمعني الموضوع وطابعة التعبيري.
3. إذا جعلت الاستجابة الجمالية المباشرة للموضوع ذات طابع ارفع ودلالة اقوي .

وعلي ذلك يتم الإدراك الاستطيقي بإدراك بنائية العمل وتركيبة وعناصره بطريقة ليست تحليلية مجزأة بل ، بتركيز جمالي علي كل منها في علاقتها المتبادلة بعضها ببعض ، وعند إذ سيكون للمعرفة الفنية دور في الإدراك بأسلوب أكثر عمقا وحيوية و القدرة هنا في إدماج المعرفة الفنية في الإدراك بحيث تصبح مرتبطة بالموضوع جماليا ، وتندمج المعرفة هنا مع إدراك المتذوق وتعمل علي تغير الطابع البصري والتخيلي والانفعالي للتجربة الجمالية والاستمتاع به ، مما يجعل الإدراك أعمق واشد إرهافا لان التجربة أوسع معرفة " إن الاهتمام الرئيسي للفن هو إن يجعل التصورات الموضوعية والأفكار العامة قابلة للإدراك من قبل الجميع (رمضان بسطاويسي – ص 323)

الإدراك الاستطيقي وتقارب معني الدلالة في الفن الإسلامي

ان الإدراك الاستطيقي يرتبط في معناه بتعددية الدلالة الناتجة عن تعددية المتذوقين للعمل الفني ، والدلالة هنا تستمد من نسق العمل الفني وليس العكس ، فالعمل الفني باعتباره نسقا من العلامات يشير الي صور ذهنية موجودة في عقل المتذوق والذي يترجمها بدورة الي صور فنية مرتبطة بمعارفه ومدركاته البصرية والنفسية فتتحد مع ما لدية من صور ذهنية ، وتتحقق الدلالة هنا عن طريق أكتمال العلاقة بين الدال (الشكل) والمدلول (المضمون) .

معان ارتبطت بالإحساس العاطفي للمسلمين ، وارتباطهم وجدانيا بالمعايير الجمالية والقيم الأخلاقية التي قام عليها الإسلام , فكان المتذوقون للفنون الإسلامية يتعاملون مع الفنون من خلال مجموعة من الأشكال الدالة علي معان يقوم عليها الفن الإسلامي تتجاوز العالم المرئي والحكاية المسرودة الي عالم مستقل ومنظم اتخذت فيه الأشكال موضعها تبعا لمبررات الجمال والحس الخالص ، لقد جسد الفن الإسلامي تفاعل الحواس مع العقل والقلب لنصل الي دلالات تأتي وراء البناء الشكلي الظاهر بما لا يكتفي بتحقيق النظرة الحسية المباشرة ، بل يتجه إلي المعاني الاستاطيقية مما يجعله لا يدرك بالمشاهدة العينية اعتمادا علي منطق التحليل والتعليل ولا نعثر في موضوعاته علي اعتمال العواطف وأثار الانفعالات الجياشة فقط ، وإنما استمتاعنا به وتذوقنا له يتحقق إذا ما خلصنا لجماليته وما يسعي إليه للنفاذ خلال الظواهر الحسية لإدراك الجوهر الباطن بطريق الحدس المباشر لروح الفنان التي أضفت الروحانية المرتبطة بالعقيدة الإسلامية كإطار فني وحضاري لمتطلبات الإنسان المسلم الروحية والدنيوية

جماليات الشكل كمدخل للإدراك الاستطقي للفن الإسلامي

إن مصدر الجمال في الفن الإسلامي تبلور عندما تبلورت الثقافة الإسلامية وتحددت معها المظاهر التي صاغت الطابع الشرقي للفن الإسلامي ، ومن أهم هذه المظاهر النظر إلي الإنسان علي انه جزء من الكون وليس محورا له ، ومن هذا المنطلق ابتدع الفنان المسلم صيغة جديدة لمعالجة موضوعات لأعمال مزج فيها بين العوامل الثلاثة للإنسان والحيوان والنبات باعتبارها عناصر تقوم بأدوار متساوية في إبداع العمل الفني ، إذ أمكن تحويرها وتبسيطها لتحقيق الهدف الفني والجمالي منها فأصبحت جميعها وحدات زخرفيه تزينيه لها قيمة متساوية لا يتميز احد منها علي الآخر في سيادة العمل فكلها لها وظيفة إضفاء الجمال (شكل 1) ، حتى الاستخدامات اللونية لم تكن بغرض تحقيق وظائف رمزية وتعبيرية أو بهدف محاكاة الألوان الطبيعية ، بل كانت لتحقيق مثل هذه الأهداف الجمالية ، ولذلك جاء استخدام اللون بطريقة اصطلاحية ملخصة مسطحة تسر العين علي اعتبار أن اللون مبهج (شكل 2) , ومن هنا بزغت الصيغة التجريدية التي لازمت تطور الفن الإسلامي ، حيث إن محاولات التوفيق بين العناصر الشكلية للإنسان والحيوان

وتسطيحه والبعد عن التفاصيل بهدف الإدراك الحسي المباشر لأغراض جمالية و تحقيق السمات الفنية أو تحقيق الاستمتاع الجمالي و بما يعمل علي ادراكة استطيقيا

لذلك كان ميل الفنان لشغل فراغات أعمالة أو تغطية سطوحها بالنقوش والتي كانت تهدف إلي إذابة حجم الأجسام فيها وتجريدها من مادتها حلا مقنعا من اجل تحقيق الأغراض الجمالية ، لقد صاغ الفنان أشكاله كوحدات زخرفيه لتعكس القيم الفنية ، فابتدع أسلوبا فنيا جمع فيه بين الحيوان والطير ومزج بينهما وبين الزخارف الهندسية والنباتية بقيمتها الخطية والملمسية ، وهكذا ظهر المزيج المتداخل للعناصر المختلفة في أعمال الفن الإسلامي متجانسا ومتفردا (شكل 3) ، وقد اعتمد الفنان في التوصل إلي محصلة الاستمتاع الجمالي عندما زاوج بين الخطوط المنحنية الدوارة برشاقتها مع العناصر الهندسية ذات الجمال الرياضي ، مما اظهر مثل هذه الأعمال متمتعة بحركة ذاتية نابعة من تمايل الخطوط وانسيابها في حرية، تلك النقوش النباتية التي صاغتها الخطوط الدوارة المورقة المزهرة وهي تنساب وتمتد في وجهات عديدة جاءت "بصيغ رياضية بسيطة تصنع إيقاعا موسيقيا متجانسا في تشكيلات متجردة من هدف محاكاة الطبيعة أو تمثيل النماذج الهندسية المألوفة " (محسن عطية – موضوعات في الفن الإسلامي -10) (شكل 4) ، إن ما يحكم هذا الفن هو منطق تشكيلي داخلي وتنظيم رياضي ادركه الفنان من نظام الكون بمظاهرة المتعددة منها:

- الدقة في جميع مفردات الكون التي لا تختل كلها متحركة لا يصطدم احد بالآخر ولا يحدث أبدا خطأ في مسار واحد منها
- التناسق الذي يأتي إلينا من استمرارية الاضداد ضوء وظل ،ابيض واسود،لامع ومنطفئ .....
- التوازن الذي يمنع السماء أن تقع علي الأرض والأجرام موزونة الحركة لا تخرج عن النظام والتناسق بين كل منها والتوازن بين مفردات الحياة في توزيع الألوان والظلال والأضواء بصورة تستريح لها العين
- الترابط المحسوس بين الكائنات والذي جعل لها مصيرا واحدا وأشركها في نشاط واحد يربط بينها جميعا

الإدراك الاستطيقي للفن الإسلامي

وبالرغم من أن الإدراك الاستطيقي يقوم أساسا علي ذاتية الدلالة ، إلا أن المعايير الجمالية التي قام عليها الفن الإسلامي ومنها سابقة الذكر ، والتي وحدت بين بنائيات الفن في مجالاته عبر الأزمنة والأمكنة والتي تكون مدخل الإدراك الاستطيقي للفن الإسلامي في كل عمل فني ينتمي إليه - رغم اختلاف الخامة أو الحجم أو حتى الهدف من وراء إبداعه - خاصة وقد اجتمعت فيه الحقيقة مع ضرورات مطالب الحياة ، إلي جانب تأكيد مفهوم الجمال بمعناه الواسع الذي لا يقف عد حدود الحس ولا ينحصر في قالب محدد ، فالفن الإسلامي " هو التعبير الجميل عن الكون والحياة والإنسان من خلال تصور الإسلام للكون و الحياة والإنسان " (محمد قطب - 5) ، انه جمال الكون والطبيعة ، جمال المشاعر والقيم والأوضاع والنظم والأفكار والمبادئ والتنظيمات. كلها مدركات استطيقية تتحقق في الفنون الإسلامية وهي المادة الأصيلة في التعبير ، وهو يعرض من خلالها الحياة كلها ، إذ من فطرة النفس البشرية السعي إلي الجمال والسبب هو كما يقول جورج لوكا تش "إن الجمال ينقذ الإنسان من الانحطاط الإنساني " (علي ادهم - 98) وهو من دوافع المنهج الإسلامي الذي يأمر بإتقان العمل و احسانة .

لذلك جاء الجمال في الفن الإسلامي مقصودا وليس عارضا ، فلم يفرق بين فن جميل وفن نافع فالفن يكون فنا إذا كان جميلا ، والجمال فيه من باب التحسينات والكماليات وليس من الضروريات و له إمكانية الإبداع وإيجاد الجديد ، لذلك كانت الحرف والصناعات الإسلامية الصغير فن ، فهي إلي جانب ما تتصف به من الدقة والمهارة والإتقان جاء الجمال فيها مقصودا لذاته من باب التحسينات لإضفاء القيمة الجمالية التي أصبحت الصفة الأساسية عند إدراكنا لمختلف مجالات الفن الإسلامي استطيقيا .

وتتحد القيم الجمالية في الفن الإسلامي لتكسبه المعاني الاستطيقية التي يستشعرها المتذوق والتي ترتبط بالدلالات الروحية التي ترتبط جميعها بمفهوم الوحدانية لله ، والتي تستقر في وجدان كل مسلم ويسقطها علي العمل الفني أثناء التجربة الادائية أو التذوقية للفن ومن هذه المعاني :

كلية الكون

من المعاني الاستطيقية التي تتضمنها الفنون الإسلامية ، فهي تذهب إلي ما وراء المساحة المحدودة للشكل إلي التعبير عن الكون والحياة ، فتري في العمل الفني أكثر من الجزيئات العابرة في الحياة اليومية لتصل إلي إدراك ما بينها من ارتباطات ظاهرة أو الخفية ، ونستطيع إن ندرك ما وراء هذه الارتباطات من كليات عامة شاملة تفسير هذه الارتباطات وتلك الجزئيات ، وتجعل منها كيانا متماسكا لا مجرد جزئيات متناثرة في صفحة الكون .

والمتذوق عندما يطلع علي هذه الارتباطات داخل العمل يستطيع إن يدرك ما بين الروح و المادة من ترابط وامتزاج ويدرك تأثيرها علي الحياة والناس والأحداث، ويصبح في إمكانه إن يستشعر جمال الكون كله والتي حولها الفنان إلي وحدات في الفن الإسلامي من إنسان وطير وحيوان ونبات وجبال وانهار وكواكب وارض وسماء كلها ممتزجة في ذات الوقت مع الروح السارية في هذا الكون وتجمع بين وحداته الروح التي تجعل المتذوق حيا يتحرك ويحس ويتعاطف ويتلقي شتي المشاعر والانفعالات .

الفن الإسلامي هنا هو محاوله بشرية لتصور حقائق الوجود وانعكاسه في النفس في صورة موحية وجميلة تشمل علي الحقيقة التي يشير إليها العمل الفني أو يرمز إليه ، انه التصور الإسلامي للحياة والإنسان والكون فهو لا يأخذ جانبا ويترك الأخر إنه الوجود كله بمادياته وروحانياته ومعنوياته وكل كائناته .

تأمل الحقيقة

إن الوحدانية هي من المعاني الاستطيقية التي يستشعر بها متذوق الفنون الإسلامية، حيث إن التصور الإسلامي للكون والحياة والإنسان يبدأ من الحقيقة الإلهية التي يصدر عنها الوجود كله ثم يسير مع هذا الوجود في كل صورة وأشكاله وكائناته وموجودات ودقائق الكون كله لا يغادر منها شيئا يقع في محيطة ، سواء ما تدركه الحواس وما لا تدركه أو ما يدركه العقل بوعيه وما يدركه الإحساس أو ما تدركه الروح فيما وراء الوعي - ويشمل كل نشاط الإنسان وطاقاته

البسري هذه القدرة التي تهز الوجدان وتثير الحس وتفتح البصيرة لتأمل الحقيقة الإلهية وتضفي على النفس يقينا عميقا .

وهذه الوحدة لم تكن لتأخذ أبعادها واضحة جلية لولا " التزام الفنان بمنهج واحد حيث وحد فيه هذا المنهج الفكر وحدد الغاية والهدف ، فإذا الإنتاج الفني – رغم تباعد المسافات مكانا وزمانا – ينتمي الى أصل واحد ثابت امتدت فروعه وارتفعت لتؤتي ثمارها جنية من كل نوع ولون " (صالح احمد الشامي – 88)

وجاء الفن الإسلامي يوجه نظر المتذوق إلى آيات الله في صفحات الكون ووحدانيته وعلمه الشامل الدقيق إنه تصور فنان لشئ جميل حي متحرك بحس متعاطف مع الإنسان متجاوب معه في مودة ، تلك المودة والتآلف وصلت بالفن إلى التزيين، والتعبير بالتزيين هنا موح بقصد إن يكون الخلق جميل والجمال هو جزء من بنية الكون كما خلقة الله وإدراك الجمال في الوجود هو اقرب وسيلة لإدراك جمال الخالق .

واقعية الحقيقة

إن الفن الإسلامي ينظر إلى الإنسان في تصوره الفعلي ودوافعه وحالاته بلا حدود وهي نظرة لا تخلو من الضوابط التي تضع له توجيهات تجعله يجابه الواقع بدون سيطرة شيء له أهمية على باقي الأشياء ، والواقعية حقيقة حتمية الوقوع لا تفرض على الإسلام فالواقع قد يحتمل الخطأ ولكن الخطأ لا يكتسب حق أن يظل موجودا لأنه وقع بالفعل .

والواقعية في الفن الإسلامي ترتبط بعدة عوامل منها :

- طبيعة واقعية الإنسان من حيث موقفة من الله والكون و الحياة
- طريقة تسجيل اللقطة البشرية التي يختارها للتعبير الفني

إن الإنسان لدية الاستعداد للخير والشر ولدية القابلية لان يسير في هذا الطريق أو ذاك ، وعلى ذلك فالفن الإسلامي يصور الإنسان بهذه الصورة المزدوجة التي هي واقعية الحقيقة ، فيصوره في لحظات ضعفه ولحظات قوته لحظات هبوطه ورفعته ، انه لا يرسم صورة مزيفة للبشر فتجعله نقيا من كل الشوائب سليما من كل

النفس الإنسانية المتفاعلة مع الكون والحياة بصورة واقعية عميقة ، لكنها لا تسلط النور علي الشر ولا تسلطه علي الضعف ولا تغفل الجوانب العليا من كيان الإنسان فتؤكده ، إنها تصور الواقعية بهدف الوصول إلي أعلي درجات الجمال وهو ما يمكن أن نراه في المنمنمات الإسلامية التي تعبر عن مجالس الطرب والحب والعشق والغرام (شكل 6)

إن التناسق في لوحة الحياة البشرية يقتضي أن تكون الوجدانيات التي يصورها الفن شاملة لكل العواطف في مختلف حالاتها ومجالاتها ، فالمشاعر تلتقي في كل موحد يلتقي فيه كل جزء بكل الأجزاء وكل هدف يتبعه جميع الأهداف لا تنفصل الروح عن الجسم عن العقل في باطن النفس ولا تنفصل عن الأهداف الاجتماعية والاقتصادية والفكرية والروحية والسيكولوجية في واقع الحياة ، كلها تجتمع فتكون هذا الكيان الكلي للإنسان .

الالتزام

إن الالتزام سمة تقوم في ذات الإنسان المسلم لا يستطيع أن يفعل دونه ، بل أنه يحرص علية في تفكيره وسلوكه وتصوره وتعبيره ، إن مفهوم الإسلام للالتزام في الفن " أن يمتلك الفنان تصورا شاملا متكاملا صحيحا للكون والحياة والإنسان ومن بعد هذا يجئ الالتزام عفويا متسقا منسابا علاقته بالعطاء الفني لا تقوم مطلقا علي القسر والتكلف والإكراه " (عماد الدين خليل – 189) حتى في فنه فالالتزام هو تمثيل الإسلام و تطبيقه ، والالتزام هنا يعني التزام كل من الفنان والمتذوق بالمفاهيم الإسلامية ، وهذا لا يعني تضيق حدود الفن بل هو علي العكس من ذلك يوسع الرقعة ويوسع الحدود حتى تشمل الكون كله والحياة كلها والإنسان في اشمل نطاق يمكن ان يخطر في حس إنسان

فخرج العمل الفني عن لوازم الإبقاء علي إشكال بعينها ، ليعبر بما يتراءى له عن موضوعات متغايرة ترتبط بموضوعات تمس الحياة والكون والعقيدة في أعمال يرتبط فيها الشكل مع المضمون ، و لا يختلف في محتواها الظاهر مع الباطن " فيؤثر فيه ويتأثر به وتكون بينهما العلاقة تبادلية تجعل من الصعوبة فك الارتباط بينهما ومعالجة كل منهما علي انفراد " (عماد الدين خليل – الإسلام والمذاهب

وتعديلها بما يتناسب مع المضمون (شكل 7) ، إذا كانت في أصل وجودها وبنائها لا تتعارض مع المضمون المطروح خلالها حتى أصبح من الصعب التشكك في أن هذا الشكل هو جزء متمم للعملية الفنية ، أنها تعبير عن حرية الإبداع عند الفنان المسلم وهي في ذات الوقت تؤكد التزامه الروحي بما يتناسب من قيم مع الفن الإسلامي وبذلك يتحمل العمل الفني شكلا يحمل دلالة ترتبط بنفس المنهج الفكري المحدد في الغاية والهدف والمتذوق في حرية كاملة يستقبل هذه الدلالة لتأخذ أبعادها في مشاعره وتصوراته حتى تشمل الكون كله في اسمي وأفضل القيم والأفكار والمشاعر .

الخلاصة

يخلص البحث إلي ما يلي :

1- قام الفن الإسلامي علي معايير جمالية واحدة في جميع مجالاتة الفنية .

2- إن الوحدة الجمالية في مجالات الفن الإسلامي أدت إلي تقارب المعني عند الإدراك الاستطيقي له

3- إن تحوير العناصر وتجريدها جاء بما يناسب المضمون و يهدف في ذات الوقت إلي إضفاء الجمال من وجهة نظر الفنان

4- إن الإدراك الاستطيقي للفن الإسلامي عند كل من الفنان والمتذوق يأتي من تأمل المعاني وراء الكون وليس من الدقة في محاكاة عناصر الكون

5- إن الإدراك الاستطيقي للفن الإسلامي يرتبط بالمنهج الإسلامي الذي يؤمن به جميع المسلمين

6- جاء الفن الإسلامي بجماليات تحمل معني الالتزام محققا سمات خاصة تميزه عن كل أنواع الفنون الاخري

7- إن الفن الإسلامي يحمل في طياته وحدة في الدلالة يستقبلها المتذوقين بصورة متشابهه المعني

مشكاة الأمير سيف الدين شيخو
مصر أو سوريا 1350 – 1355م
زجاج منفوخ مذهب مطلي بالمينا
الارتفاع 34,6 سم القطر 27,5 سم

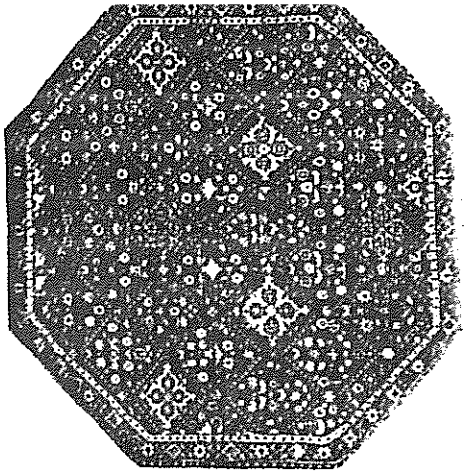

سجادة بشكل مثمن وأرضية مزهرة
ايران القرن الثامن عشر
351×325سم
1191م

قطعة من حشوه عليها زخرفة خطية
المتحف الأزرق في تبريز ايران
1465م
فسيفساء خزف
25×79سم

شكل (1)
أعمال فنية في مجالات مختلفة توضح قيمة التزيين التي تضفي الجمال كمكمل لتحسين الشكل وليس للضرورة الوظيفية له

شكل (2)
جزء تفصيلي من منمنمة مغولية " كتاب بابور " من القرن السادس عشر- المتحف الوطني بدلهي - الهند

يلاحظ القيمة الجمالية للون و استخدامه بطريقة اصطلاحية ملخصة مسطحة تسر العين علي اعتبار أن اللون مبهجا

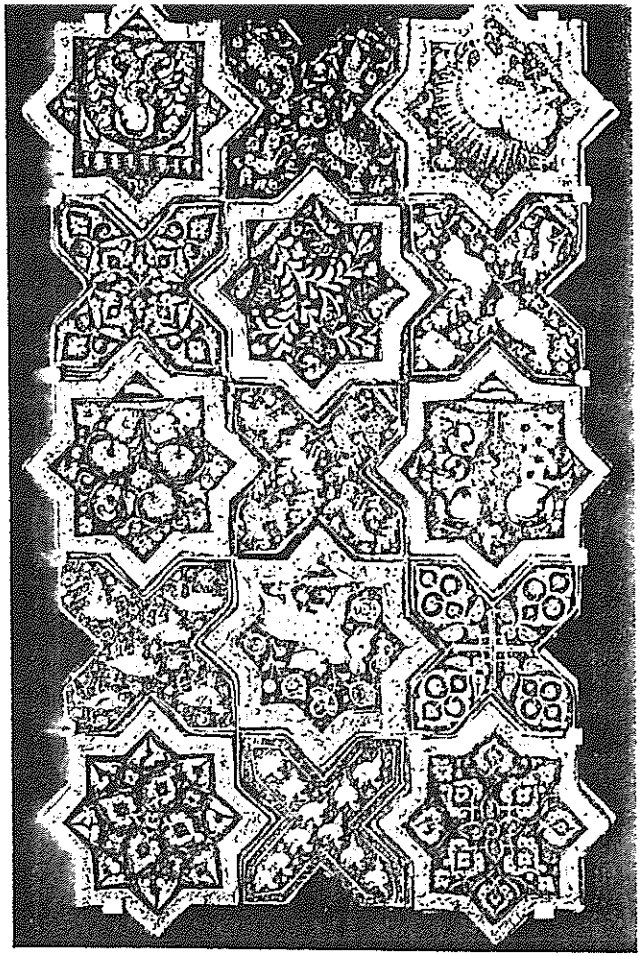

شكل (3)
لوح أكساء مزين برسوم ملمعة تحت طلاء غير لامع – انعكاسات ألوان الأزرق والفيروزي – الارتفاع 78,5 –العرض 49,5

نلاحظ الجمع بين العناصر النباتية والحيوانية والإنسانية وتطويعها بأسلوب زخرفي موحد يتناسب مع الإطار الهندسي الذي حدد الأشكال لتصبح كل وحدة هي لوحة فنية وفي تجميعها تتكامل لتصبح لوحة يطغى عليها القيمة الزخرفية التزينية

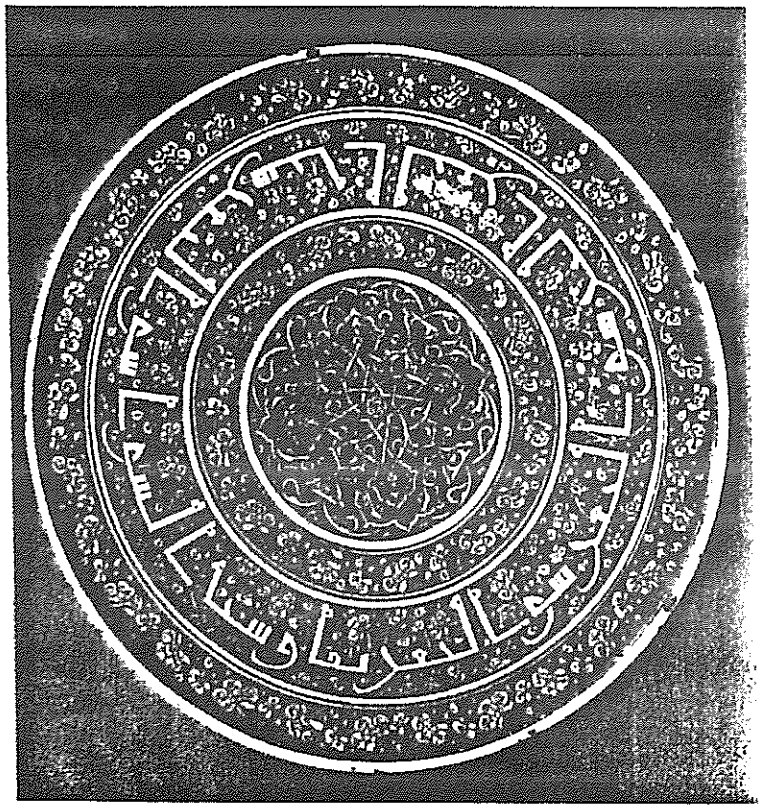

شكل (4)

طبق علية زخرفة كتابية وتوريقات نباتية – خزف صواني مخرف بطلاء تحت خزفي طلاء زجاجي شفاف – القطر 40 – الارتفاع 7,5 – 1490, 1480 – تركيا

نلاحظ منطقا تشكيليا داخليا وتنظيما رياضيا أدركه الفنان من نظام الكون بمظاهرة المتعددة

شكل (5)
إبريق مزين برسوم بط – نحاس مطروق , زخرفة البط مصبوبة , زخرفة بالحفر والطرق والتطعيم بالفضة وعجينة سوداء – مصر أو سوريا – 1309 م

يلاحظ في الزخرفة الداخلية للإبريق تصور الفنان للكون والحياة والإنسان يبدءا من العناصر التي يكون منها الوجود كله ثم يسير مع هذا الوجود في كل صورة وأشكاله وكائناته وموجودات ، دقائق الكون لا يغادر منها شيئا يقع في محيطة فيكون هو العناصر التي يقوم عليه التشكيل الفني

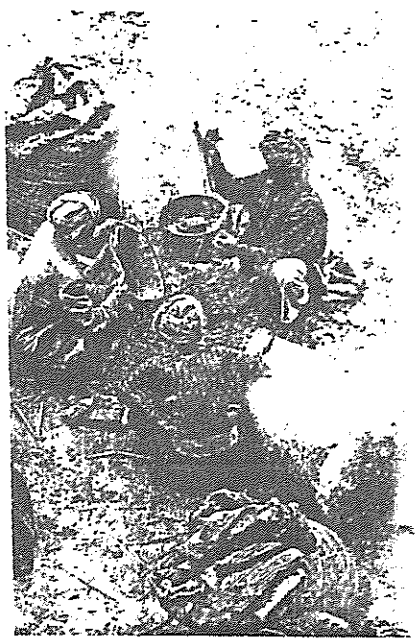

شكل (6)
جزء تفصيلي من منمنمة مغولية " كتاب بابور " من القرن السادس عشر- المتحف الوطني بدلهي - الهند

الفن الإسلامي يصور اشكالة بصورة واقعية إلي أقصي حدود الواقعية يصوره بما يعتمل داخل النفس الإنسانية المتفاعلة مع الكون والحياة بصورة واقعية عميقة ، لكنها لا تسلط النور علي الشر ولا تسلطه علي الضعف ولا تغفل الجوانب العليا من كيان الإنسان فتؤكده ، إنها تصور الواقعية بهدف الوصول إلي أعلي درجات الجمال

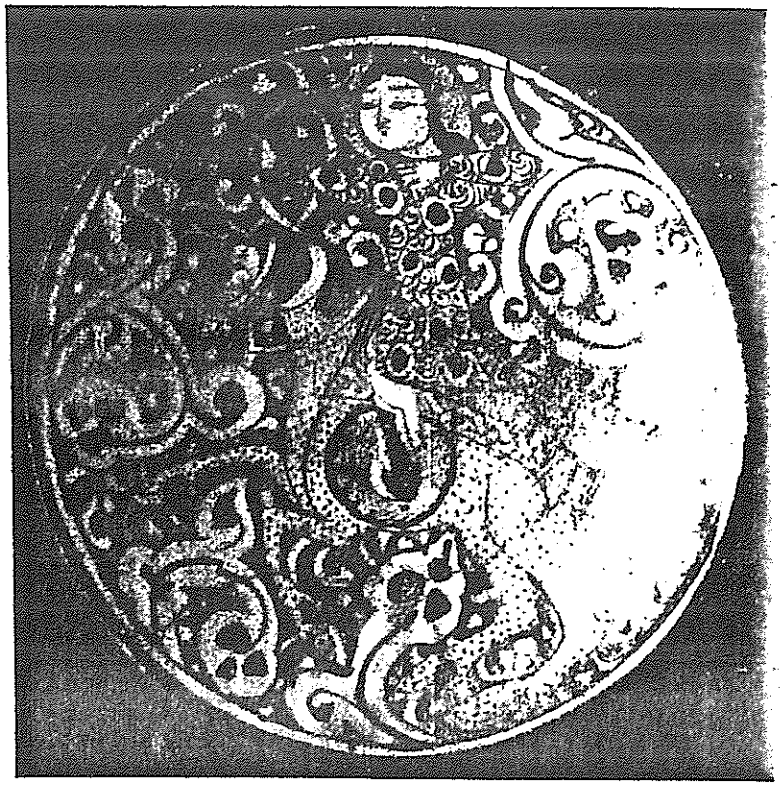

شكل (7)
كاس مزخرفة بشكل فارس صياد – الجزيرة – نهاية القرن الثاني عشر وبداية القرن الثالث عشر فخار صواني ,زخرفة مغطاة بطلاء زجاجي شفاف – القطر 27 سم

الفنان يعمل علي الاستفادة من الأشكال وتطويرها وتعديلها بما يتناسب مع المضمون والإطار والقيمة ، أنها تعبير عن حرية الإبداع عند الفنان المسلم الذي يضفي علي العمل رؤية جديدة بمعايير جمالية تبتعد عن الالتزام بنقل الواقع ولكنة يعبر عنة بما يتراني له للتعبير عن القيمة الجمالية الدالة علي التزامه القيمي المطلق

المراجع

1- الهيئة العليا للسياحة : روائع مجموعة الفنون الإسلامية بمتحف اللوفر – الرياض – 2006

2- جيروم ستولينتز : النقد الفني – ت : فؤاد زكريا – الهيئة العامة للكتاب – القاهرة - 1989

3- حسين علي : فلسفة الفن رؤية جديدة – الدار المصرية السعودية – القاهرة – 2005

4- رمضان بسطاويسي : جماليات الفنون – الهيئة المصرية العامة للكتاب – سلسلة دراسات أدبية – القاهرة 1998

5- رولان وسبرينا ميشو: الشرق في مرآة – شركة النشر العربي الدولي -1983

6- زكريا إبراهيم : مشكلة الفن – مكتبة مصر – القاهرة - 1977

7- زكريا إبراهيم : فلسفة الفن في الفكر المعاصر- دار مصر للطباعة – القاهرة – 1988

8- صالح احمد الشامي : الفن الإسلامي التزام وإبداع – دار القلم – دمشق - 1990

9- علي ادهم : بين الفلسفة والأدب – دار المعارف – مصر – 1978 ص 98

10- عماد الدين خليل : الإسلام و المذاهب الأدبية - بحث مقدم لندوة الأدب الإسلامي – الرياض - 1404 1405ه

11- عماد الدين خليل : في النقد الإسلامي المعاصر – مؤسسة الرسالة - د.ت

12 محسن عطية : موضوعات في الفن الإسلامي - مكتبة النهضة المصرية - القاهرة ط3 - 1999

13- محسن عطية : نقد الفنون – منشاة المعارف – الإسكندرية - 2002

14- محسن عطية : التحليل الجمالي للفن - عالم الكتب – القاهرة - 2003

15 محمد قطب : منهج الفن الإسلامي – دار الشرق القاهرة - ط 7 - 1987

16- محمد عزيز نظمي سالم : علم الجمال الاجتماعي – دار المعارف – مصر – د.ت